الأدب والفن في أسبوع

الفنون في المولد النبوي :

كان الأسبوع الماضي أسبوع المولد النبوي ، على صاحبه الصلاة والسلام ، فقد تعطرت النوادي بهذه الذكرى الحبيبة ، وتحلت الصحف والمجلات بما نشرته فيها من الكلمات الطيبات ، وأذاعت لها دار الإذاعة برنامجاً حافلا استمر أسبوعاً ، وقد افتتحه صاحب الفضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية واختتمه الأستاذ أحمد حسن الزيات بحديث بليغ عن « بلاغة الرسول » .

ولا أحب إلى من أن أبدأ في هذا الأسبوع بالكتابة في هذه المناسبة الكريمة ، مسجلا المظهر الرائع الذي بدا فيه الاحتفال بالمولد هذا العام ، من حيث اتجاه الفنون الجميلة إلى الاشتراك فيه ، فإلى جانب الأدب من كتابة وخطابة وشعر ، نسمع المطربين يصدحون بالأغاني المؤلفة في مدح الرسول وذكرى مولده ، ونسمع كذلك التمثيليات الإذاعية والبرامج الخاصة . ومما يلفت النظر أن الجمعيات الدينية كالشبان المسلمين والإخوان المسلمين ، أدخلت التمثيل في برامج احتفالاتها ، فمثلت على بعض المسارح تمثيليات في تاريخ الصدر الأول من الإسلام . وهكذا تعاونت فنون الأدب والغناء والتمثيل على الحفاوة بمولد الرسول في هذا العام ، ولا أقول إنها أكسبته جمالا وروعة ، بل هي التي اتخذت منه موضوعاً لإبراز جمالها الفني ... وأي موضوع أدعى إلى الإبداع الفني من ذكرى الحبيب محمد بن عبد الله الذي انتقل حبه إلى قلوبنا ، على تعاقب الأجيال ، بتيار رسالته المشعة الهادية ، وأي شيء أليق بالفن من الحب ... ؟

السفينة العربية :

وقد استرعى انتباهي حسن التفات الأستاذ الزيات في حديثه إلى قوله عليه السلام « إن قوماً ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ؛ فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكاني أصنع فيه ما أشاء . فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا » وذلك من حيث تطبيقه على دنيا الإسلام والعروبة اليوم ، إلى أن قال الأستاذ : « وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله من ألمعية الذهن وإشراق الروح كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ، فضرب هذا المثل لجامعة الدول العربية لعلها تتذكر فتتدبر » .

أقول : حيا الله شعب العراق ، فقد حال دون خرق السفينة العربية بهبته في وجه المعاهدة التي تهدد سلامة السفينة إذا اختلفت إحدى الشقيقات مع الانجليز ... وحيا الله دولتي سوريا ولبنان ، فقد أبتا أن تصنعا في مكانهما شيئاً يرقشهما التعاهد مع الانجليز حتى ينتهي الخلاف بينهم وبين مصر ، وعلى جامعة الدول العربية فائدة السفينة أن تتذكر فتتدبر .

لقد قوض العرب الأولون أركان الدولة الشرقية (الفارسية) والدولة الغربية (الرومانية) وكانت عدتهم في ذلك الوحدة والإيمان والتضحية ؛ ونحن الآن لا عاصم لنا من الكتلة الشرقية والكتلة الغربية إلا هذه الصفات . ويخيل إلى أننا أخذنا بالوحدة واقتربنا من الإيمان ، ولكنا لا نزال بعيدين عن التضحية ، لأننا غارقون في الأثرة ، متعلقون بالرياسة وحب السلامة .

ويوم تتم لنا تلك الصفات ، تجد « الكتلة العربية » مكانها على قدم المساواة إن لم يكن في موضع التغلب ، وليس هذا اليوم ببعيد .

نشوء القومية في ألمانيا :

كان « نشوء القومية في ألمانيا وتصادم النظريتين الألمانية والفرنسية في تعريفها وتحديدها » موضوع المحاضرة الثانية من سلسلة المحاضرات التي يلقيها الأستاذ ساطع الحصري في الجمعية الجغرافية الملكية والتي حدد لها يوم السبت من كل أسبوع .

قال الأستاذ : كانت ألمانيا في أواخر القرن الثامن عشر إمارات ودويلات متفككة سياسياً وإن كانت ذات وحدة لغوية ثقافية ؛ ولم يكن أهلوها يشعرون بالقومية ، وكان علماؤها وأدباؤها يتجهون في تفكيرهم وإنتاجهم نحو الإنسانية والعالمية ، فلما قامت الثورة

فى فرنسا أبدوا ارتياحهم إليها مؤملين أن تقضى على النعرات الوطنية وتهدف إلى تحقيق الخير للبشر ، ولكن لم يلبث أملهم أن خاب عندما غزاهم نابليون ، وفرض عليهم حكما استبداديا لحقت بهم الكوارث من جرائه ؛ فشعروا بالحاجة إلى الوحدة والتكتل وبدأ المفكرون يوجهون الشعب نحو القومية ، وشرع الأدباء والشعراء فى إنتاج الأدب الوطنى الحماسى الذى جعل لهذه الفترة مظهراً بارزاً فى تاريخ الآداب .

وكان على رأس أولئك المفكرين « فختة » الذى دعا إلى محاربة التفرق والضعف وإلى تعميم التعليم وتربية الشعب تربية تنتفى فيها الأنانية ، وبث فى أبنائه أن عليهم رسالة كبيرة يؤدونها للبشر عامة ، برفع شأن وطنهم أولا ، ثم نشر الرسالة فى خارجه وبهذا مزج بين الوطنية والعالمية . وكان يوجه كلامه إلى الناطقين باللغة الألمانية ، فكانت نتيجة ذلك أن شعر سكان جميع البلاد التى تتكلم الألمانية برابطة اللغة .

وأدت هذه الحركة إلى تكوين جامعة الدول الألمانية التى كانت تنظم العلاقة بين هذه الدول وإن كان يحكم كل منها حاكم مستقل وتحققت وحدة اقتصادية ، وتقدمت الصناعات ، وقوى الجيش . ووجدت ألمانيا الفرصة سانحة فى الانضمام إلى الحلفاء ضد نابليون فاشتركت فى حربه معها ، ولكن الحلفاء بعد أن تغلبوا على نابليون عاكسوا الحركة القومية فى ألمانيا زمناً طويلا ، حتى قيض لها بسمارك ، فعمل على تحقيقها بمختلف الوسائل .

وبعد أن أفاض الأستاذ فى بيان ذلك انتقل إلى النقطة الثانية من المحاضرة ، فقال إنه فى خلال تلك الحوادث نشأت نظريتان فى تعريف القومية : النظرية الألمانية القائلة بأن القومية كائن حى روحه اللغة الواحدة ، والنظرية الفرنسية التى تقول بأن القومية ليست كذلك وإنما هى شىء يقوم على مشيئة الشعب ، وواضح أن كلا من النظريتين كان يدفع أصحابها إلى القول بها مصالح بلاده فالفرنسيون لا يقولون باللغة أساسا للقومية ، لأنهم كانوا يريدون أن يضموا جزءاً كبيراً من ألمانيا إليهم بحيث تكون حدودهم عند نهر الرين ، والألمانيون يقفون فى سبيلهم داعين إلى وحدة بلادهم وهى ذات لغة واحدة .

واستعرض الأستاذ آراء كل من الطرفين ، ثم قال إنه كان متأثراً بالنظرية الفرنسية ، ولكنه بالبحث والتأمل تبين له بطلانها لأن المشيئة ليست أمراً ثابتا محدودا ، وأورد حوادث دلت على تغيرها ، ولأن هذه المشيئة إنما تكون نتيجة للعوامل الأساسية كاللغة والتاريخ ؛ وختم الأستاذ المحاضرة بقوله إن صحة نظرية القومية القائمة على اللغة وفساد نظرية المشيئة ، سيتبين بشكل أوضح فى المحاضرة القادمة عند ما نتكلم على الفكرة القومية فى النمسا والبلقان وتأثير اللغة والتاريخ فيها .

الشعر الآن :

وردت الصحف أخيراً قولا للأديب الفرنسى أندريه جيد :

« إذا وجد فى أى بلد شعراء مجيدون ، وإذا أحب أهل هذا البلد قراءة الشعر ، فاعلم أن النظام السياسى هناك نظام صالح قويم . أما إذا خلا البلد من الشعراء والنوابغ ، وإذا عزف الناس عن قراءة الشعر وترتيله ، فاعلم أن النظام السياسى هناك نظام فاسد معوج . وفى البلد الأول قلما تقوم الثورات والقلائل ، وفى البلد الثانى قلما يهدأ الناس ويرضون عن حياتهم » .

ويبدو لى أن الربط بين وجود الشعراء وإقبال الناس على الشعر وبين استقرار الأحوال واطمئنان الناس فى حياتهم — يبدو لى أن هذا الربط يقوم على اعتبار الشعر ترفاً فنياً وعلى ما يسود حياة الناس من هدوء بال وهناءة عيش فيقبلون على الشعر يلتمسون فيه المتعة الفنية ، أو قلق وشظف فينصرفون عن هذا الكمال الفنى إلى مسائلهم ومشاكلهم .

ونحن ولا شك من الفريق الثانى ، والناس عندنا عازفون عن قراءة الشعر من غير شك أيضاً ، ولكن هل عندنا شعراء مجيدون ؟ يتوقف الجواب عن هذا السؤال على تعليل عزوف الناس عن قراءة الشعر ، فهل تصرفهم عنه شواغلهم ، أولا تعجبهم البضاعة الموجودة ؟

أما الشواغل والقلاقل فهى متوافرة ، وأما الإنتاج الشعرى فليس من السهل إطلاق الحكم عليه .

أحسب أن شيئاً من التبعة فى كساد الشعر يرجع إلى أولئك النقاد الذين هبوا فى فترة ماضية ، يعيبون على الشعراء العاشقين فى حياة الناس القائلين فى مسراتهم وأحزانهم ، ويدعون إلى التجارب الذاتية والتحليق الفنى . ولهؤلاء النقاد وجهة فنية

سليمة إذا نظرنا إلى ما هالهم من التهالك على الرثاء المصنوع والتهاني المتملقة وغير ذلك مما ليس بسبيل التعبير الصادق ، ولكن كانت نتيجة تلك الحركة أن انكشف شعراء المناسبات عن الميدان ، وإن كان لا يزال فيه من يوالون تزييف التعبير وقد أصبحت تفاهة صنيعهم معروفة . أما التحليق فلم يُلف أجنحة في أكثر أمره ... ومن حلق قصد إلى ترف المشاعر ، مزوراً عن مضطرب هذه الأمة المنكوبة في حريتها وفي عيشتها . ونظر الناس إلى هؤلاء وإلى هؤلاء شذراً ، لأنهم وجدوهم إما بعيدين عن الإجادة أو غير مسدّدين إلى أهداف المجتمع ، فكانوا عندهم معرضين .

وليس الأمر مقصوراً على جمهرة القراء ، فالإعراض عن قراءة الشعر يشمل الخاصة من المثقفين ، ولا أخفي أنني ألتقي على شعر يقرأ ، وأكاد نفسي أحياناً أن أقرأ شعراً ، صابراً إلى نهايته ، ثم أقول في نفسي : أترى هذا الكلام ينشر إذا جرد من الوزن والقافية وكتب نثراً . . ؟ والجواب مفهوم طبعاً ، وإذن فنحن نتخذ النظم «حواراً» للنشر ليس إلا ...

كتب كاتب في إحدى صحفنا الكبيرة « تقريظاً » لديوان أخرجه أخيراً شاب يتعلق بالشعر ، فتمثل الكاتب بما كتبه فيكتور هوجو عن لامرتين عقب نشر أول مجموعة شعرية له ، وهو قوله : « لقد ولد لنا الليلة شاعر عظيم جديد » فاستبشرت خيراً بمن ولد لنا وهو صاحب الديوان الذي يقرظه الكاتب ، ولكنه عفى على ما أملت بإيراده طائفة من روائع شعره ، فقد نظرت في هذه « الروائع » متخيلا تجرد هامن الوزن والقافية فوجدتها كالذي وصفت . . وكذلك شأن أكثر من يولدون في هذه الأيام !

وأعود إلى ما أسلفت من أنه ليس من السهل إطلاق الحكم على الجميع ، فثمة قلة من الشعراء يرتفع شعرهم عن مستوى الكثرة التي كادت تحملني على القول بأن الشعر لقي حتفه . أما الظاهرة الشاملة الملحوظة وهي انصراف الناس عن قراءة الشعر ، فإن خالفتني في تعليلها فإن تختلف في تقريرها .

وموقف الشعراء — في نظري — لا يخلو من ثلاثة : أن يظلوا يقولون لأنفسهم ، أو يقولوا فيما بينهم الناس وما يعجبهم ، أو يسكتوا حتى يفرغ الناس لهم .

معرض الفن الحديث :

في يوم الخميس افتتح المعرض الأول للفن الحديث ، لخريجي قسم الرسم من معهد التربية العالي للمعلمين .

والفن الحديث في الرسم ليس شيئاً مغايراً للفنون السابقة ، وإنما يعد تطوراً لها ، إذ يرى أصحابه أن الأسلوب (الفوتغراف) في الرسم صناعة آلية لا تغذي الفكر أو العواطف الإنسانية ، فهو أسلوب جامد لا يساير الحياة المتحركة ، ثم هو لا يتصل بالثقافات الأخرى من علمية واجتماعية وفلسفية . أما الفنان الحديث فقد أخذ بنصيب من هذه الثقافات التي تفاعلت في نفسه مع الطبيعة الفنية ، فهو حينما ينتج لا يصور الحياة كما هي ، وإنما يضيف إليها شيئاً من فكره وشحنة من حسه فيتسامى إلى الحقائق والمتناقضات سعياً وراء الأفضل ، أو هو بتعبير آخر لا يقبل الواقع الماثل بل يدرك الواقع المتطور ويعبر عنه ، وهو يتحرر من كثير من القيود والأصول المعروفة .

وقد شاهدت المعروضات ، وفهمت بعضها (ولا تخر) واستعصت علي فهم البعض الآخر بأصحابه الأساتذة العارضين ، ومع ذلك لم أفهم كل شيء .. ولم أتحرج من مصارحتهم بذلك ، فكانوا يجيبون بأن الفنان قد يعبر عن شعور غامض في نفسه أو عن تجربة لم تتفق لمن لا يدرك مرماه .

وإذا كنا لم نقبل — في الشعر — القول المأثور : المعنى في بطن الشاعر ، فهل نقبل — في الرسم — أن يقال : الفكرة في بطن الفنان !

يجب أن توضح معالم هذا الفن حتى يتصل الشعور بين المنتج والمتفرج . وأي قيمة لعمل فني تنقطع فيه الصلة بين المشاهد والفنان . . ؟

استعمار الأوبرا :

بدأ الموسم الشتوي للتمثيل في الأوبرا ، بتمثيل الفرقة المصرية على هذا المسرح نحو شهر ، ثم جلت عنه للفرق الأجنبية التي تتعاقب عليه . عملت فيه أولا فرقة (البالية) الفرنسية ، وتعمل به الآن الفرقة الإيطالية ، وستعقبها فرقة (الكوميدي فرانسيز) وهكذا تشغل هذه الفرق الثلاث مسرحنا الرسمي أكثر